الدر النضيد في إثبات كلمة التوحيد جمع القاضي العلامة الرباني محمد بن علي الشوكاني رحمه الله تعالى

آمين اللهم آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

بسم الله الرحمن الرحيم

احمدك اللهم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك واصلي واسلم على رسولك وآل رسولك

وبعد فانه وصل الى الحقير الجاني محمد بن علي الشوكاني غفر الله له ذنوبه وستر عن عيون الناس عيوبه سؤال من عالم مفضال عارف بما قد قيل وما يقال في مدارك الحرام والحلال عند اختلاف الاقوال وتباين آراء الرجال وهو العلامة الفهامة الالمعي محمد بن احمد بن محمد المشحم كثر الله فوائده ومد على اهل العلم موائده وحاصل السؤال هو عن التوسل بالاموات المشهورين بالفضل وكذلك الاحياء والاستغاثة بهم ومناجاتهم عند الحاجة من نحو علي الله وعليك يا فلان وانا بالله وبك وما يشابه ذلك وتعظيم قبورهم واعتقاد ان لهم قدرة على قضاء حوائج المحتاجين ونجاح طلبات السائلين وما حكم من فعل شيئاً من ذلك وهل يجوز قصد قبور الصالحين لتأدية الزيارة ودعاء الله عندها من غير استغاثة بهم فقط فاقول مستعيناً بالله اعلم ان الكلام على هذه الاطراف يتوقف على ايضاح الفاظ هي منشأ الاختلاف والالتباس فمنها الاستغاثة

بالغين المعجمة والمثلثة ومنها الاستعانة بالعين المهملة والنون ومنها
التشفع ومنها التوسل فاما الاستغاثة بالمعجمة والمثلثة فهي
طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار وهو طلب النصر ولا خلاف
انه يجوز ان يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه من الامور ولا يحتاج مثل
ذلك الى استدلال فهو في غاية الوضوح وما لاظنه يوجد فيه خلاف ومنه فاستغاثة
الذي من شيعته على الذي من عدوه وكما قال والان استنصروكم في الدين فعليكم
النصر وكما قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى واما ما لا يقدر عليه
الا الله فلا يستغاث فيه الا به كغفران الذنوب والهداية وانزال المطر
والرزق ونحو ذلك كما قال تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله وقال انك لا تهدي
من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم
هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض وعلى هذا الحمل ما اخرجه الطبراني
في معجمه الكبير انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منافق يوذي المومنين فقال ابو
بكر رضي الله عنه قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا المنافق +
فقال صلى الله عليه وآله وسلم انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله فمراده
صلى الله عليه وآله وسلم انه لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه الا الله واما ما يقدر عليه المخلوق
فلا مانع من ذلك مثل ان يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجر او يحول
بينه وبين عدوه الكافر او يدفع عنه سبعا صائلا او لصا او نحو ذلك وقد
ذكر اهل العلم انه يجب على كل مكلف ان يعلم ان الاغياث والمغيث على الاطلاق
الا الله سبحانه وان كل غوث من عنده واذا حصل شيء من ذلك على يد
غيره فالحقيقة له سبحانه وليغيره مجاز ومن اسمائه المغيث
والغياث قال ابو عبد الله الحليمي الغياث هو المغيث واكثر ما يقال غياث

المستغيثين ومعناه المدرك عباده في الشدائد اذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم و
في خبر الاستسقاء في الصحيحين اللهم اغثنا اللهم اغثنا اغاثة وغياثة وغوثا و
هو في معنى المجيب والمستجيب قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الا ان الاغاثة
اخص بالافعال والاستجابة بالاقوال وقد يقع كل منهما موقع الآخر قال شيخ
الاسلام ابن تيمية في بعض فتاواه بالفظ والاستغاثة بمعنى ان
يطلب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيه مسلم ومن نازع
في هذا المعنى فهو اما كافر واما مخطي ضال واما بالمعنى الذي نفاه رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فهو ايضا مما يجب نفيها ومن اثبت لغير الله ما لا يكون الا لله فهو ايضا
كافر اذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها ومن هذا الباب قول
ابي يزيد البسطامي استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق وقول
الشيخ ابي عبد الله القرشي استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون
واما الاستعانة بالنون فهي طلب العون والاخلاف انه يجوز ان يستعان بالمخلوق
فيما يقدر عليه من امور الدنيا كان يستعين به على ان يحمل معه متاعه او يعلف دابته
او يبلغ رسالته واما ما لا يقدر عليه الا الله جل جلاله فلا يستعان فيه الا به ومنه اياك
نعبد واياك نستعين واما التشفع بالمخلوق فلا خلاف بين المسلمين انه يجوز طلب
الشفاعة من المخلوقين فيما يقدرون عليه من امور الدنيا وثبت بالسنة المتواترة
واتفاق جميع الامة ان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم هو الشافع المشفع وانه يشفع للخلايق يوم القيمة
وان الناس يستشفعون به ويطلبون منه ان يشفع لهم الى ربه ولم يقع الخلاف الا في كونها
لمحو ذنوب المذنبين او لزيادة ثواب المطيعين ولم ار احدا من المسلمين ينفيها قط وفي سنن ابي
داود ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم انا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله +
فقال شان الله اعظم من ذلك انه لا يستشفع به على احد من خلقه فاقره على قوله نستشفع

يقل ص

المستغيثين ومعناه المدرك

بك على الله وانكر عليه قوله استشفع بالله عليك وسياتي تمام الكلام في الشفاعة
واما التوسل الى الله سبحانه بما حدس خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال
الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه لا يجوز التوسل الى الله تعالى الا بالنبي صلى الله عليه وسلم ان
صح الحديث فيه ولعله يشير الى الحديث الذي اخرجه النسائي في سننه والترمذي وصححه
وابن ماجة وغيرهم ان اعمى اتى النبي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اصبت
في بصري فادع الله لي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم توضأ وصل ركعتين ثم قل اللهم اني
اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد يا محمد اني استشفع بك في رد بصري اللهم شفع النبي
في وقال فان كان لك حاجة فمثل ذلك فرد الله بصره وللناس في معنى هذا قولان
احدهما ان التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال كنا اذا اجدبنا توسل بنبينا
اليك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا وهو في صحيح البخاري وغيره فقد ذكر عمر رضي الله عنه
انهم كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته في الاستسقاء ثم توسل بعمه العباس
بعد موته وتوسلهم به واستسقاؤهم والنبي صلى الله عليه وسلم كان في مثل هذا شافعا
وداعيا لهم والقول الثاني ان التوسل به صلى الله عليه وسلم يكون في حياته وبعد موته وفي
حضرته ومغيبه ولا يخفاك انه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته وثبت التوسل بغيره
بعد موته باجماع الصحابة اجماعا سكوتيا لعدم انكار احد منهم على عمر رضي الله عنه في التوسل
بالعباس رضي الله عنه وعندي انه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم كما زعمه
الشيخ عز الدين بن عبد السلام لامرين الاول ما عرفناك به من اجماع الصحابة رضي الله عنهم
والثاني ان التوسل الى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل باعمالهم الصالحة
ومزاياهم الفاضلة اذ لا يكون الفاضل فاضلا الا باعماله فاذا قال القائل اللهم اني
اتوسل اليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة ان كل واحد منهم

توسل الى الله بأعظم عمل عمله

توسل الى الله بأعظم عمل عمله فلو كان التوسل بالاعمال الفاضلة غير
جائز او كان شركا كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله
من اتباعه لم تحصل الاجابة من الله لهم ولا سكت النبي صلى الله عليه وسلم عن انكار ما فعلوه
بعد حكايته عنهم ولعلمنا ان ما يورده المانعون من التوسل الى الله بالانبياء و
الصلحاء من نحو قوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونحو قوله تعالى فلا تدعوا مع
الله احدا او نحو قوله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ليس بوارد
بل من الاستدلال على محل النزاع بما هو اجنبي عنه فان قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى مصرح بانهم عبدوهم لذلك والمتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم ان له
مزية عند الله بحمل العلم فتوسل به لذلك وكذلك قوله فلا تدعوا مع الله احدا فانه نهى
عن ان يدعى مع الله غيره كان يقول يا الله ويا فلان والمتوسل بالعالم مثلا
لم يدع الا الله وانما وقع منه التوسل اليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلاثة
الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح اعمالهم وكذلك قوله والذين يدعون من دونه
الآية فان هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم والمتوسل
بالعالم مثلا لم يدع الا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعى غيره معه فاذا عرفت هذا
لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الادلة الخارجة عن محل النزاع
خروجا زائدا على ما ذكرناه كاستدلالهم بقوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين ثم ما
ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله فان هذه الآية
الشريفة ليس فيها الا انه تعالى المنفرد بالامر في يوم الدين وانه ليس لغيره من الامر شيء
والمتوسل بنبي من الانبياء او عالم من العلماء هو لا يعتقد ان لمن توسل به مشاركة
لله جل جلاله في امر يوم الدين ومن اعتقد هذا في العباد سواء كان نبيا
او غير نبي فهو في ضلال مبين وكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله ليس لك من الامر شيء

قال لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا فان الايتين مصرحتان بانه ليس لرسول الله صلى الله
عليه وسلم من امر الله شئ وانه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فكيف يملك لغيره وليس
فيهما منع التوسل به او لغيره من الانبياء او الاولياء او العلماء وقد جعل الله لرسوله صلى الله
عليه وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وارشد الخلق الى ان يسالوه ذلك
ويطلبوه منه وقال له سل تعطه واشفع تشفع وقيد ذلك في كتابه العزيز بان
الشفاعة لا تكون الا باذنه ولا تكون الا لمن ارتضى ولعله ياتي تحقيق هذا المقام
ان شاء الله تعالى وبهذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وسلم لما نزل
قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين يا فلان بن فلان لا املك لك من الله شيئا يا
فلانة بنت فلان لا املك لك من الله شيئا فان هذا ليس فيه الا التصريح بانه صلى الله
عليه وسلم لا يستطيع نفع من اراد الله تعالى ضره ولا ضر من اراد الله نفعه و
انه لا يملك لاحد من قرابته فضلا عن غيرهم شيئا من الله وهذا معلوم لكل مسلم و
ليس فيه انه لا يتوسل به الى الله فان ذلك هو طلب الامر ممن له الامر والنهي وانما
اراد الطالب ان يقيم بين يدي طلبته ما يكون سببا للاجابة ممن هو المتفرد
بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين واذا عرفت هذا فاعلم ان
الرزية كل الرزية والبلية كل البلية امر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد والتشفع
بمن له الشفاعة وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في اهل القبور
وفي المعروفين بالصلاح من الاحياء من انهم يقدرون على ما لا يقدر عليه الا
الله جل جلاله ويفعلون ما لا يفعله الا الله عز وجل حتى تعلقت السنتهم بما انطوت
عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالا ويصرخون باسمائهم
ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعا زائدا على خضوعهم عند
وقوفهم بين يدي ربهم في الصلوة والدعاء وهذا اذا لم يكن شركا فلا ندري

ما هو الشرك واذا لم يكن كفرا فليس في الدنيا كفر وها نحن نقص عليك

قفقف

ما هو الشرك واذا لم يكن كفرا فليس في الدنيا كفر وها نحن نقص عليك
ادلة في كتاب الله سبحانه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيها المنع مما هو دون هذا
بمراحل وفي بعضها التصريح بانه شرك وهو بالنسبة الى هذا الذي ذكرناه يسير حقير
ثم بعد ذلك نعود الى الكلام على مسئلة السوال فمن ذلك ما اخرجه احمد في
مسنده باسناد لا باس به عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا
بيده حلقة من صفر فقال ما هذه قال من الواهنة قال انزعها فانها لا تزيدك الا
وهنا ولو مت وهي عليك ما افلحت واخرج ايضا عن عقبة بن عامر مرفوعا من
تعلق تميمة فلا اتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له وفي رواية
من تعلق تميمة فقد اشرك ولابن ابي حاتم عن حذيفة انه راى رجلا في يده خيطا
للحمى فقطعه وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وفي الصحيح عن ابي بشير الانصاري
انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فارسل رسولا ان لا يبقين في رقبة بعير
قلادة من وتر الا قطعت واخرج احمد وابو داود عن ابن مسعود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الرقى والتمايم والتولة شرك واخرج احمد والترمذي عن عبد الله بن عكيم
مرفوعا من تعلق شيئا وكل اليه واخرج احمد عن رويفع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا رويفع لعل الحيوة ستطول بك فاخبر الناس ان من عقد لحيته او تقلد وترا
او استنجى برجيع دابة او عظم فان محمدا بري منه فانظر كيف جعل الرقى والتمايم والتولة
شركا وما ذلك الا لكونها مظنة لان يصحبها اعتقاد ان لغير الله تاثيرا في الشفاء
من الدار وفي المحبة والبغضاء فكيف بمن نادى غير الله وطلب منه ما لا يطلب
الا من الله واعتقد استقلاله بالتاثير او اشتراكه مع الله عز وجل ومن ذلك ما اخرجه
الترمذي وصححه عن ابي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها اسلحتهم